لا إنسانية الحضارة الغربية المعاصرة، وارتباطها بأزمة الأخلاق

(ألبرت شفايتسر نموذجاً)

دكتورة مقبولة العوامي*

المقدمة:

منذ ظهور الحضارات الإنسانية وتطور إنجازات الإنسان المبدع للحضارة، واستمراره في الإبداع بحضارته التي انتقلت من قديمة إلى حديثة ومعاصرة، و الإنسان يسعى جاهداً للوصول إلى حضارة إنسانية يكون الإنسان فيها إنسانا، أو بالأحرى يشعر بإنسانيته، وإنسانية الشعوب والحضارات الأخرى، غير انه لا العلم ولا التطور التكنولوجي، ولا ثورة المعلومات، ولا الكم الهائل من المعرفة، ولا ازدياد وعيه استطاعت أن تقضي على نوازع الشر والأنانية الموجودة بداخله ،بل بالعكس أصبحت الصراعات والأحقاد والحروب الدموية والعنف في تزايد ما جعل الإنسان المعاصر يواجه العديد من المشاكل، أهمها مشكلة البقاء الإنساني والأمن والتعايش السلمي، مما يعني أن العبرة ليست في التقدم التكنولوجي، والعلمي وبناء ناطحات السحاب و غزو الفضاء بل"العبرة في منجزات البشر بما ينفع أكبر عدد من الناس وييسر لهم أسباب الاستقرار والأمن، لا بما يبهر العيون ويرد الإنسان إلى الشعور بالقلق وانعدام الأمن"[1]. **وهذا يعني أنه** لا يحق لمجتمع أو شعب من أي شعوب العالم أن يتصف بصفة التحضر إلا إذا اتصف هو وحضارته بالصفات الإنسانية، التي إذا انفصلت الحضارة عنها أو بالأحرى تخلت عنها، لم تكن سوى مجرد مظهر أجوف من مظاهر الحضارة الزائفة، أي أن الأمر لا يعدو أن يكون ثقافة مادية أحادية خالية من أهم مقوم للحضارة وهو مقوم القيم الإنسانية، التي تجعلها حضارة شاملة.

في حقيقة الأمر إن ما تركته الحضارة المعاصرة نتيجة تطورها العلمي والتكنولوجي من تناقضات وأوجه خلاف وصراع خلفَّت لدى الإنسان المعاصر الشك واليأس، وأدخلته في متاهات يحاول الخروج منها عبثا، وفي خضم هذا اليأس وهذه الفوضى نجد الكثير من مفكري الحضارة، الذين ينتمون إلى الحضارة الغربية يوجهون لها الكثير من الانتقادات ؛محاولين البحث عن قوة تنقذ روحه، وتعيد إليه الأمن والسكينة، للخلاص من الفوضى والاضطراب السائد

* كلية الآداب قسم الفلسفة

[1] حسين مؤنس: الحضارة، ب ط، عالم المعرفة،الكويت،1978م،ص9.

في هذا العصر، فهذا العصر بمشاكله وهمومه الحضارية، عصر مميز عن كل العصور التي سبقته بسبب ثورة الاتصالات والمعلوماتية والتطور التكنولوجي الهائل المتسارع، وبينما نجد الغرب يتقدم مادياً، نجد حضارته المعاصرة حضارة متأزمة، وأن امتلاكها للتقنية جعل منها حضارة متسلطة. " فقد آن الأوان للنظر في جوهر تلك التي وضعت قيمتها، بصفتها مصدراً للسعادة، موضع تشكيك"[1] حيث جلبت تلك الحضارة الكثير من المشاكل الإنسانية. فهل مشكلة الحضارة الأوربية المعاصرة مشكلة إنسانية؟ أو بالأحرى هل تتسم بسمات إنسانية تعمل على رقي الإنسان وبقيمه الأخلاقية ؟أم أنها رغم تطورها تتسم بنزعات لا إنسانية تدل على أنها حضارة منهارة الأمر الذي يجعل الإنسان يعيش في قلق نفسي متزايد ؟ .

للإجابة عن هذه الأسئلة و غيرها مما لها علاقة بالموضوع المطروح ، ننطلق من عدة محاور في هذا البحث منها : الحديث عن نشأة الحضارة المعاصرة ،مفهوم الإنسانية وعلاقته بالحضارة المعاصرة، مصير الحضارة المعاصرة حسب رأى **ألبرت شفايتسر**.

1- نشأة الحضارة المعاصرة:

الحضارة الغربية المعاصرة هي الحضارة التي نعيشها والتي ننتمي إليها الآن، ونتفاعل معها، ونؤثر ونتأثر بتطورها، ونشكل مستقبلها، ونشارك في تغيراتها الإنسانية والمادية، كما أن جميع التجارب الإنسانية التي مرت على البشرية منذ مطلع القرن الماضي هي التي حددت طبيعة وماهيتها الحضارة المعاصرة، و جعلتها حضارة مستقلة عن الحضارات السابقة لها، بخصائصها أو بالأحرى بما تتصف من أزمات وتعقيدات وإنجازات في جميع مجالات الحضارة الإنسانية، فالحضارة المعاصرة هي نسيج الحضارات السابقة، وهى نتيجة للجهد الإنساني عبر العصور، و من يتأمل إنجازات الحضارة الغربية المعاصرة سرعان ما يكتشف أنها حضارة أسهمت فيها جُل البشرية أو بمعنى آخر هي جهد تقدم الوعي البشري للحضارات الإنسانية السابقة لها ، فالقفزة الحضارية للحضارة الغربية، والتي أخذت طريقها إلى خارج الوجود الحضاري، هي التعبير التاريخي والاجتماعي عن التجارب المتكررة عبر القرون . " فنعترف بأن الحضارات الحالية خرجت بتمامها من الحضارات القديمة، وتضمنت كافة جراثيم المدنيات المقبلة، وأن تطور الأفكار والأديان والصناعات والفنون، وكل العناصر التي تدخل في تركيب أية مدنية أمر حتمي منظم."[2]

---

[1] سيجموند فرويد :قلق في الحضارة، ترجمة: جورج طرابيش،ط3،دار الطليعة للطباعة النشر،بيروت،1982م،ص41.

[2] جوستاف لوبون: مقدمة الحضارات الأولي، ترجمة: محمد صادق رستم، ب ط المطبعة السلفية،القاهرة،1341ه،ص11.

وبالرغم من اتساعها وانتشارها على سطح الكرة الأرضية، وتميزها بأنها حضارة واحدة سهلة الانتقال والاتصال، بسبب تطور العلم والتكنولوجيا إلا أنه لا يجب أن يغيب عن فكرنا أنها حضارة، ومجهود عقول البشرية جمعاء، فما أنتجته الحضارة الغربية المعاصرة هو في الأصل امتداد لأفكار العلماء، والفلاسفة، والأدباء، والمفكرين في الحضارات السابقة لها مثل الحضارة اليونانية، والرومانية، و الإسلامية، فدارسوا الحضارات يعون جيداً أن الحضارة هي مجموعة من تبادل، وتناقل الثقافات بين الشعوب المختلفة، وكل ما حققته الإنسانية من تقدم، و إبداعات في مختلف العلوم والآداب ، و أن كافة النشاطات كانت نتيجة لتطور الفكر البشري، وازدياد وعي الإنسان لما حوله، مما جعله يتقدم في إنتاجه الثقافي، والعلمي عبر العصور، كما أن الحضارة الغربية المعاصرة بكل تقنياتها وعلومها وتطورها هي نتيجة ازدياد وعي الإنسان الغربي، وتطور أسلوب حياته، ومواجهته للتحديات التي عاقته في العصر الوسيط.

إن مواجهته لما يعانيه قد أظهر أمامه آثار تحدياته المتمثلة في حضارة أوربا بأكملها الناتجة من خلال الدفع الداخلي للإنسان، الذي به جدد حيا ة العقل والحواس والمعرفة والفن، ونتج عن ذلك تطور في المجالات الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية كافة ، ما أدى إلى انتقال أوربا من عصور الظلام إلى العصور الحديثة والمعاصرة، وعلينا أن نقر بأن هناك جهود وحركات فكرية وإصلاحية تظهر بين الحين والآخر تطالب أو تنادي بمبادئ تحررية، خصوصاً من سيطرة رجال الدين، فكانت النقلة بعد ذلك إلى عصر النهضة والحضارة الحديثة، وذلك بعد الاتصال بالحضارة الإسلامية والتعرف على المنهج الإسلامي، خاصة المنهج التجريبي الذي قاد رجال العلم والفكر في العصر الوسيط، فكان انتصار الإنسان الأوروبي في الرقي بمجتمعه وراءه عقول مستنيرة أتاحت حرية الفكر والتواصل الحضاري بين الشرق والغرب، مما كان له أثر مهم في التخلص من تدهور العصور الوسطى الأوروبية وبداية العصر الحديث.

فقد كان كفاح بعض العلماء من أجل الوصول إلى الحقائق العلمية، والنهضة بالعلم، وكذلك من خلال اكتشاف الطبيعة والإنسان، شهدت أوربا منذ النصف الأول من القرن الحادي عشر نهضة علمية بلغت أوجها في القرن الثالث عشر تحت تأثير انتشار المعارف الإغريقية والعربية في الغرب الأوربي.

إن هذه النهضة، و إن كانت تبدو نقطة انطلاق وبداية لظهور الفكر العلمي الحقيقي، إلا أنها لم تكن ممكنة لولا الاتصال الوثيق بمعين الثقافة الأساسي، وهو التراث الإغريقي، الذي نقله العلماء المسلمون وصححوه وأضافوا إليه كثيراً من كشوفهم وأبحاثهم وتجاربهم ، فالحضارات

تتواصل بين الشعوب والأمم، بحيث يساهم كل منها في بناء الحضارات التي تليها، فمثلاً الحضارة اليونانية القديمة ازدهرت بفعل الإنسان اليوناني القديم الذي عمل جاهداً لتغيير الواقع من حوله، ونتيجة لذلك المجهود الذي قدمه عباقرة اليونان نجد أن هذه الحضارة أثرت في الحضارات الإسلامية والحديثة والمعاصرة، لذا وجب القول ان الحضارات هي حلقات متكاملة، ومتتالية في تاريخ الإنسانية، ولكن النهضة العلمية الحقيقية التي شاهدتها أوربا بتقديم المنهج التجريبي لم تبدأ قبل القرن السابع عشر مما أدى إلى تطور عظيم في حضارة أوربا الحديثة من الناحية المادية والصناعية، هذا التقدم للحضارة الغربية يجب ألا يجعلها تنسى أنها استمدت الكثير من أنماط الحياة والتفكير، وتعرفت على تراث اليونان بفضل ترجمات وإضافات المسلمين، كما أنها استفادت في مجال العلوم النظرية والتطبيقية من فلاسفة الإسلام . تقول(**زيغريد هونكه 1913-1999) : "** لقد اعترف الجميع للعرب* بفضلهم في إيصال إعمال الفلاسفة والعلماء القدماء وآثارهم للعالم الحديث.**"**[1] فالحضارة المعاصرة تمتاز بأنها جامعة لتراث، وميراث، وتركات القرون، والحضارات السابقة، والفلسفات القديمة بخيرها وشرها **"** لقد تطور العرب بتجاربهم وأبحاثهم العلمية، ما أخذوا من مادة خام عن الإغريق، وشكلوه تشكيلاً جديداً فالعرب، في الواقع هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة...وأثروا فيما بعد على مفكري الغرب، وعلمائه ...لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم.**"**[2] فحضارة الغرب الموجودة الآن لم تكن من صنع الإنسان الغربي وحده، بل هي حصيلة حضارات متعاقبة على مر العصور، وهذا ما اعترف به الكثير من علماء الحضارة الغربية المعاصرة بالأخص علماء الطبيعة حيث نجدهم يشكرون علماء الإسلام على إدخال طريقة التجربة العلمية التي انطلقت بها أوربا إلى الحداثة والتطور. يقول(**جورج سارتون 1885-1956** ***George Sarto*** **):"** لقد مكننا علماء العرب من أن نبني لأنفسنا نحن أبناء الغرب تقاليد ثقافية هي أعلى ما ورثناه من إسلافنا في العلم.**"**[3]،ويقول المستشرق (**لويس سيد يو 1808-1875** ***Lewis Studio*** **) :"** ظاهرة مدرسة بغداد في بدء أمرها هي الروح العلمية التي كانت سائدة لأعمالها فكانت مبادئ أساتذتها تقوم على الانتقال من المعلوم إلى المجهول، وعلى ملاحظة الحوادث ملاحظة وثيقة لمجاوزة المعلومات إلى العلل وعلى عدم التسليم بما لا يستند إلى التجربة، وكان العرب في القرن التاسع الميلادي أصحابا لهذا المنهج الخصيب فاضحي بعد زمن طويل أداة بيد علماء الزمن الحديث

* تقصد بكلمة العرب المسلمين.

[1] زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، ط8،دار الجبل،بيروت،1993،ص399

[2] المرجع السابق ص401.

[3] كويلر يونغ: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، ترجمة عبد الرحمن محمد أيوب، ب ط سلسلة الألف كتاب،القاهرة،ص160.

للوصول إلى أجمل اكتشافاتهم."[1] . فإذا كان العلم هو أهم سمة من سمات الحضارة المعاصرة، فيجب أن نعلم ويعلم الغرب أنه-العلم- لا يختص به الغرب فقط بل هو مجهود ساهم فيه كل أبناء الحضارات السابقة. يقول (**روم لاندو Landau Rom 1899-1974):** إن العلم هو أجل خدمة أسدتها الحضارة العربية إلى العالم الحديث

فالإغريق قد نظموا وعمموا ووضعوا النظريات ولكن روح البحث و تركيب المعرفة اليقينية وطرائق العلم الدقيقة والملاحظة الدائبة المتطاولة كانت غريبة عن المزاج الإغريقي، بينما كان العرب هم أصحاب الفضل في تعريف أوروبا بهذا كله ، وبكلمة فإن العلم الأوربي مدين بوجوده للعرب."[2] ، ليس الغرض مما سبق الحديث عن تأثير الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية، بقدر ما هو تبيان لمثال واضح ندلل به على أن نشأ ة الحضارة الغربية المعاصرة ساهم في إيجادها الكثير من أبناء الحضارات السابقة، كالفرعونية والهندية و اليونانية، والإسلامية و الرومانية ..الخ.

إن علماء الحضارة الغربية يعود إليهم الفضل في نقل العلوم ودراستها دراسة علمية فكان لهم الفضل في متابعة الأفكار واكتشاف خبايا العلم وتطويره مما ساعدهم على اكتشاف الكون والطبيعة والعالم، فالحضارة الغربية المعاصرة نشأت، وتطورت نتيجة لتطويرها للعلوم السابقة، ونتيجة الكم المتراكم من المعرفة على مر العصور. يقول(**فونتينيل1657-1757 fantenelle)** في تعريفة لعالم اليوم انه **:"**ما يزيد عما كان يعرفه عالم كان يعيش تحت حكم أوغسطين بمقدار عشرة أضعاف، وطالما يستمر الناس في جمع المعرفة، سيكون التطور محتوماً، كنمو الشجرة، وليس هنالك من سبب يدفع بنا إلى أن نتوقع انقطاع ذلك."[3] وهذا ما أردنا إن نوضحه من نشأة الحضارة المعاصرة بكل تقنياتها وعلومها فهي لا تعدو أن تكون سوى تقدم الإنسانية منذ بدايتها، هذا التقدم لم ينته، وسيستمر إلى مالا نهاية، فالعصر" الذهبي لم يتحقق في الأيام الخالية، بل هو في انتظار الإنسان في المستقبل، وأن القوانين الصالحة القائمة على احترام حقوق الفرد، والمعدة لتنمية المعارف ستسير بالإنسانية-لا محالة- نحو سعادة فكريه، أخلاقية، اجتماعية، أعلى من الأحلام التي تنسجها مخيلتنا، تلك هي الأفكار التي أعدها وهيأها القرن الثامن عشر."[4]

---

[1] جورج سارتون: تاريخ العلم ،ترجمة إسماعيل مظهر، ب ط، الناشر دار النهضة العربية، القاهرة،،1961،ص75.
[2] روم لاندو :تكوين الإنسانية، ترجمة منير البعلبكي،ط2،دار العلم للملايين،بيروت،1977م، ص،24 -246.
[3] جون هرمان راندل: تكوين العقل الحديث،ج1،ط2، دار الثقافة،بيروت،1965م،ص570.
[4] أندريه كريسون: تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، ترجمة نهاد رضا،ط2، منشورات عويدات ،بيروت،1982م،صص259-260

ولكن في حقيقة الأمر في تقديري نحن نعيش الآن في العصر الذهبي نسبياً عصر التقدم العلمي، والتكنولوجي، و مع ذلك فالإنسانية تعيش في أزمة، وقلق، وخوف من دمار العالم بسبب لا إنسانية من يملك العلم، فالعلم لا يكون إنسانيا إلا إذا كان موجهاً لخدمة الإنسانية، وتطورها، وتخفيف آلام الإنسان في أي مكان، وهذا ما لا يوجد في الحضارة المعاصرة .

2- مفهوم الإنسانية وعلاقته بالحضارة المعاصرة:

مما سبق يتضح لنا أن الحضارات الإنسانية كانت متواصلة ،ومتناقلة، ومتداولة بين المجتمعات والشعوب منذ القدم ،وأن الحضارة الأوربية المعاصرة ما هي إلا امتداد لما وصلت إليه الأمم السابقة من تطور في العلم والمعرفة، فإن كان تأثر أوربا الحضاري عن طريق الحضارة الإسلامية ،فالحضارة الإسلامية أيضاً كغيرها من الحضارات الإنسانية تأثرت بالحضارات السابقة عليها، وبالتالي أثرت في الحضارات اللاحقة لها، أي الحضارة الغربية الحديثة، فهذا التفاعل بين الحضارات لا يعيبُها ؛لأن الحضارات عادة ما تتفاعل، وتتبادل المعارف والعلوم مع بعضها البعض عبر العصور، وبالرغم من أن هناك تطوراً حضارياً مادياً تحقق على يد الإنسان، إلا أن الإنسان المعاصر يبحث، ويسعى جاهداً من أجل أن ينتمي إلى حضارة إنسانية، يشعر فيها بإنسانيته من خلال الأمن و الاستقرار، بدلاً من أن يكون أداة ،أو ضحية للظلم وانعدام العدالة.

فلنتعرف أولا على مفهوم الإنسانية كي نحدد علاقتها بالحضارة المعاصرة.

- مفهوم الإنسانية لغة : " نسبة إلى الإنسان، والإنس البشر، الواحد إنْسِيٌّ، وأَنَسيٌّ أيضًا، والأُنْسُ ضد الوحشة، وقيل إن أصل الإنس، والإنسان من الإيناس، وهو الإبصار."[1]

- مفهوم الإنسانية في الاصطلاح:" تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات، وأكثر استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية إنما هو للمحامد، أما تعريفها في العصر الحديث فهي: مجموعة خصائص الجنس البشري المقومة لفصله النوعي التي تميزه عن غيره من الأنواع القريبة."[2] يقول محمد أركون :" إن هناك ثلاثة أنواع من الأنسنة: نزعة الأنسنة ذات المحتوى الديني، وهي تحترم الإنسان وترفع من شأنه بقدر ما يطيع الله ويمتثل إلى تعاليمه وأوامره ، وهناك نزعة الأنسنة ذات المحتوى الفلسفي وهي تعطي للإنسان حرية تأمله، واستقلالية ذاتية بالقياس إلى الطقوس والتعاليم

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (أنس)، ج1، ،دار الصياد، بيروت ، ص118-119.
[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1،ب ط، الشركة العالمية للكتاب،بيروت،1994،ص158-159.

الدينية ، ونزعة تركز على الله والإنسان في آن معاً وتدعى بالنزعة الإنسانية الكلية ."[1] ،وعرّف أركون الأنسنة بأنها " نشاط شامل، بناء، مبدع، يعتني بإعادة النظر في جميع ما يتعلق بوجود الإنسان وطرق الفهم والتأويل والتجسيد التاريخي لهذا الوجود."[2] إذن الحضارة الإنسانية :هي التي تهتم بالإنسان وتعتني به، لأنه صانعها فقد أوجدها وأقامها من أجل سعادته، وتلبية متطلباته الروحية، والمادية، فالحضارة تتصف بصفة الإنسانية حينما تضع المبادئ الأخلاقية في المرتبة الأولى في كل نظمها، وميادين نشاطها، أي لا تتخلى عن مبادئ الأخلاق، ذلك لأن الحضارة مصاحبه للوجود الإنساني، وبالتالي يجب أن تتصف بصفة الإنسانية، أي يجب أن تكون أولى خصائصها التعاون على البر، والمحبة والمساواة، والحرية والرحمة والإحسان، فهذه الخصائص هي أولى مقومات الرقي وصعود المجتمعات إلى أرقي درجات الكمال، والتي من خلالها نستطيع أن نحكم على كون هذا المجتمع متحضراً أم همجياً ، فكلما ابتعدت الأمم والمجتمعات والشعوب عن الأنانية والاستغلال، والكراهية والجشع، والحقد كان مجتمعها إنسانيا محافظاً على كيانه الاجتماعي .

كذلك تكون الحضارة إنسانية حينما تهتم بالجسد والروح بحيث لا يطغى جانب منهما على الآخر، فالحضارة كمفهوم شامل لا تستند على التقدم المادي فقط، بل يجب أن يكون بجانبه-المادي- العامل الإنساني بما يحمل من قيم ومبادئ أخلاقية؛ لأن صفة الإنسانية هي أهم صفة يجب أن تتصف بها الحضارة بحيث من دونها تتحول الحضارة إلى إرهاب وتسلط ، وتكون الحضارة إنسانية أيضا – بجانب ما سلف ذكره - حينما تؤمن بالعلم في" أصدق أصوله، وهو يرتكز على الإيمان في أصفى مبادئها، فهي تخاطب العقل والقلب معًا، وتثير العاطفة والفكر في وقت واحد."[3]. وعليه ففي ظل الحضارة المعاصرة نجد الحاجة ماسة للعودة إلى الاهتمام بإنسانية الإنسان ، وفي تقديري فأن إهمال البعد الإنساني هو أهم إشكالية من إشكاليات الحضارة المعاصرة . فماذا قدمت هذه الحضارة للإنسانية ،وللعالم بعد أن تولت قيادة مركبة التاريخ بشكل فعلي بداية من العصر الحديث؟ قدمت ثراء في الجانب المادي، وفقرا في الجانب الإنساني، وإذا كان الإنسان قد وصل إلى علاقة نافعة مع المادة فعرف قوانين التعامل معها بصورة رائعة، إلا أنه جعل علاقته مع أخيه الإنسان علاقة صراع ونزاع، مستغلاً النفع المادي والتكنولوجي في فرض هيمنته العسكرية، والسياسية، والاقتصادية بالكامل على مقدرات أخيه في الشعوب الفقيرة، والضعيفة، ونهب ثرواتهم تحت مسمى الإنسانية وحرب الإرهاب.

[1] محمد أركون ، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، ترجمة هاشم صالح، ب ط، دار الساقي،بيروت،2001، ص13
[2] محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ترجمة هاشم صالح، ب ط، دار الساقي، بيروت، 1977،ص9
[3] مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا، ط5،المكتب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م، ص46- 48.

هذا يعني أن البشرية تقدمت في الجانب المادي ووقعت في مأزق حرج في الجانب الإنساني، ففي الحضارة المعاصرة ازدادت معاناة الإنسان، وأصبحت أكثر من ذي قبل .

يقول(**ألكسيس كاريل*** **Alexis Carrel 1873-1944**): "إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب ؛لأنها لا تلائمنا ،لقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذ إنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس، وأوهامهم، ونظرياتهم، ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا "[1] ويقول (**جوزيف كاميللري *Joseph Camilleri***):"إن انتقال الإنسان من الحالة البدائية إلى التقنية الضخمة الحديثة جعل الإنسان هشاً قابلاً للعطب أكثر من ذي قبل ؛لأن المكاسب العظيمة في المعرفة القيمة في حد ذاتها، وفي الإنتاجية، كانت ذات أبعاد أعظم كثيراً، إذ وفرت له الضار من أدوات التدمير والعنف "[2] إذا نستطيع أن نقول إن الحضارة المعاصرة لم تستطع أن تخلص الإنسان من همومه، ومشاكله، وأزماته، وبالرغم من الرقي العلمي الذي أصبح سمة من سماتها، فهو لم يسخر لسعادة الإنسان، و رفاهيته، بل بالعكس أصبح التقدم العلمي يستخدم لقهر الإنسان .

ففي القرن التاسع عشر تطورت البشرية، وزادت المعرفة الإنسانية والتقدم العلمي، فهو عصر التقدم العلمي والثقافي، ويتسم بأنه عصر التقدم الاقتصادي والاستعماري كذلك ، وهنا تظهر لا إنسانية الحضارة الأوروبية الحديثة، والمعاصرة فرغم تقدمها وتطورها إلا أن صاحبها يتعامل مع الغير بطريقة لا إنسانية، حيث استغل الإنسان الغربي هذا التطور في التقنية والصناعات للسيطرة على الشعوب ونهب ثرواتها وإرهابها، بما لديهم من قوة السلاح، لذا فهي حضارة لا تتسم بسمات إنسانية، فهي حضارة كل مشاكلها إنسانية؛ إذ نجد حكام أوروبا وقادتها حولوا التطور العلمي إلى احتكار واستغلال، استطاعوا من خلاله أن يوسعوا نفوذهم في جميع أنحاء العالم، وذلك لكي يزيدوا من ثرواتهم ومكاسبهم أللإنسانية ، فهذا العصر اتسم بالحروب الاستعمارية التوسعية، فبدلاً من أن يوجه الإنسان (الحكام والقادة الأوروبيون) هذا التطور العلمي والفني إلى العالم كله، لكي تعم الحضارة والتطور الجميع، وجهوا هذا العلم والفن والاختراعات لخدمة أطماعهم، وذلك من خلال رغباتهم في التحكم في العالم واحتكار خيراته، واستعباد شعوبه، ؛ لكي تبقى أوروبا فقط هي المتحضرة والمتطورة، ويبقى غيرها متأخراً ،

* ألكسيس كاريل (1873-1944م) جراح وعالم أحياء فرنسي، فاز بجائزة نوبل في الطب1912، ورئيس معهد روكفلر، وكان عضواً في عديد من المؤسسات التعليمية، له (الإنسان ذلك المجهول) وكتب أخرى. أنظر: الموسوعة العربية العالمية الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة لنشر والتوزيع، 1419هـ، ص50.

[1] ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد فريد،ط3،القاهرة:مكتبة المعارف،1980م،ص38.

[2] جوزيف كاميللري: أزمة الحضارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،دمشق،1983،ص6.

و تلك هي السمة أللإنسانية للحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة، و التي تنهار بها كل القيم الحضارية، الأمر الذي لا يجعلنا نستطيع أن نطلق عليها حضارة إنسانية ،وإنما هي حضارة زادت من رصيدها المادي والتكنولوجي على حساب الغير في الوقت الذي فقدت فيه أهم شيء في الحضارة وهو القيم الإنسانية، والمعتقدات الأصيلة، ما جعل هذه الحضارة المتفوقة بإنجازاتها وإمكاناتها العلمية من أخطر الحضارات بما تتضمنه من مشكلات وأزمات روحية.

وعلى الرغم من هذا، التقدم الهائل الذي وصلت إليه الحضارة الأوروبية الحديثة في مجالات العلوم كافة إلا أنها " لم تتقدم خطوة تذكر نحو الفضيلة، ولم يعصمها ذلك التقدم من الرذائل والموبقات والأزمات الخلقية، بل فتح العلم أمامها سبيل الشر في مجال التدمير والحرب، وفي مجال التحلل من موجبات الدين."[1] ، وذلك لأنها حضارة علمية لا إنسانية. والحقيقة أن نكبة الحضارة المتسلحة بالعلم ليست نكبة هينة، ولم أقصد بهذا أن العلم لعنة؛ لأنه لم يكن كذلك في أي عصر من العصور، ولا في أي حضارة من الحضارات، ولكنه في هذا العصر ننظر إليه وكأنه شيطان، لا لأنه علم، ولكن بسبب من يستخدم هذا العلم. وأقصد هنا الإنسان الذي في يده القرار لتوجيه هذا العلم إما لصالح البشرية، أو لإبادتها، وذلك لغرض الهيمنة والسيطرة عليها، وسرقة ثرواتها، فالمسؤولون عن الحضارة الأوروبية الحديثة اهتموا بالمادة، وابتعدوا عن القيم الأخلاقية، وتناسوا إنسانيتهم التي هي سبب الحضارة، وما آلت إليه القيم الإنسانية للغرب في الحضارة الحديثة، فالقرن التاسع عشر يعد بحق عصر التقدم العلمي، وأيضاً عصر التقدم الاقتصادي والاستعماري.

إن استغلاله للتطور العلمي والفني والاكتشافات العلمية التي لم تبلغها غيرها من الدول والشعوب - في استغلال الشعوب وقهرها واستعمارها عن طريق الحروب الاستعمارية التوسعية، التي تميز بها القرن التاسع عشر - يضع الحضارة المعاصرة ومن يمثلها في قمة الإنسانية ، مما جعل الكثير من مفكري الغرب يتعرضون لها بالنقد اللاذع، مؤكدين في مؤلفاتهم على أن حضارتهم مرشحة للانهيار، مثل **ألبرت شفايتسر** الذي أتفق معه في أنها منهارة، من حيث القيم الأخلاقية، وإن كانت متطورة مادياً ، فحينما نرى القادة الأوروبيين يقررون فرض سيطرتهم على العالم واحتكار خيراته، واستعباد شعوبه، لتظل متخلفة عن عالمها لصالح مجتمعاتهم، يعد هذا- في تقديري - لا إنسانية، وهو أمر يرشح الحضارة الغربية للانهيار بسبب وجود هوة بين التطور التقني والعلمي فيها، وبين تهذيب النفوس وضبط شهواتها، فقد يكتسب الإنسان المهارة التقنية،

[1] توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ط1،دار الوفاء،المنصورة،1988،ص751.

وتصبح لديه القدرة على التحكم في تسخير قوة الطبيعة، إلا أنه يظل قليل الخبرة في علاقته مع الآخرين، متخلفاً في دوافعه وأغراضه، مهملاً لقيمه الخلقية، مسبباً بذلك الإهمال أزمات ومنازعات داخلية وحروباً عالمية، يكون من نتائجها خسائر بشرية، وتدهور حضاري بسبب إهمال القيم الروحية والإنسانية، وهذا عادة ما يحدث في حضارة ظهرت في أمة لم يكن عندها معين صاف، ولا منبعاً عذباً للحكمة الإلهية، لقد كان فيها قادة الدين، ولكن لم يكونوا أصحاب حكمة ولا علم ولا شريعة إلهية، ولم يكن عندهم إلا شبح ديني، فهم أرادوا الرقي، ولكنهم نبذوا الدين، وأصبح الحديث عن المادة هو الحديث عن الحياة وعن السعادة وعن المستقبل و الحاضر، وإن كانت لها السيطرة على الحياة الصناعية إلا أنها فقدت الكثير من القيم والمبادئ الروحية.

ألبرت شفايتسر وتحليله لانهيار الحضارة الغربية بسبب فقدان الأخلاق :

اهتم **شفايتسر** بالعوامل الإنسانية، و أثرها في قيام الحضارة من خلال اهتمامه بالأخلاق، فهو يرى أن الأخلاق هي أولى القوى التي تشكل الواقع. يقول: " إنها المعرفة المحدودة التي يجب انتزاعها من الفكر، وما عداها فثانوي."[1] لذا نجده في أكثر من موضع في كتابه **(فلسفة الحضارة)** يقرر إن الحضارة الأوروبية الحديثة رغم تطورها المادي، إلا أنها حضارة منهارة؛ لأنها لا تستند على قيم أخلاقية، و يرى **شفايتسر** أنه رغم التطور الهائل الذي تعيشه الحضارة الأوروبية الحديثة، التي شقت طريقها تدريجياً بفضل سلسلة متصلة من الانتصارات التي أحرزها الاكتشاف والاختراع، إلا أنها حضارة منهارة، وذلك بسبب بعد الإنسان الأوروبي عن القيم الأخلاقية، و يقول: "نحن نعيش اليوم في ظل انهيار الحضارة."[2] هذا الانهيار يرجعه إلى تجمد الجو الروحي لدى الإنسان، مشيراً إلى أن التطور والتقدم الذي حدث خلال الأجيال الثلاثة أو الأربعة الماضية، - أي عصر النهضة (عصر أصحاب الكشف والمذهب العقلي) - كان عصراً يستند على المثل الأخلاقية والعقل واعتبار الفكر هو العنصر الجوهري في الحضارة، فعلى الرغم من أن رجال عصر التنوير "بدأوا يتأثرون بالإنجازات الحديثة في ميدان الكشف والاختراع، وأنهم نسبوا إلى الجانب المادي من الحضارة أهمية مناسبة، إلا انهم رأوا أنه من البين بنفسه أن العنصر الجوهري القيم في الحضارة هو العنصر الروحي، فتركز اهتمامهم في المقام الأول على التقدم الروحي للناس وللإنسانية...وعظمة رجال عصر التنوير أنهم جعلوا مثلاً عليا من كمال الإنسان والمجتمع والإنسانية، وكرسوا أنفسهم لهذه المثل

[1] ألبرت شفايتسر: في فلسفة الحضارة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ب ط، القاهرة، مطبعة مصر، ب ت،ص129.
[2] المصدر السابق،ص11

بحماسة... وهذه النظرة أخلاقية، لأنها تنظر إلى ما هو أخلاقي على أنه في اتفاق مع العقل."[1] وكان من أهم سماته نماء الإنسان والاهتمام بمشاكله المادية والروحية الناشئة عن المجتمع، والاهتمام بالعلاقات القائمة بين الأمم المختلفة عن طريق القيم الإنسانية.

إلا أن الحال قد تغير، كما يرى شفايتسر، منذ حوالي منتصف القرن التاسع عشر، وذلك حينما "بدأ التفاهم والتعاون المتبادل بين المثل الأخلاقية والحقيقة الواقعية يتداعى، وفي خلال العقود القليلة التالية اختفى شيئاً فشيئاً، حتى انعدم نهائياً."[2]

إذن فهو يرجع انهيار الحضارة هذا إلى إفلاس الفكر من القيم الإنسانية، فيقول: "بزوال عصر التنوير والمذهب العقلي والفلسفة العظمى، في بداية القرن التاسع عشر، بذرت بذرة الحرب العالمية القادمة ، هنالك بدأت تختفي الأفكار والمعتقدات التي كان يمكنها إيجاد حل سليم للخلافات التي تقوم بين الأمم "[3]إذن من هذا نرى أن شفايتسر يرجع انهيار الحضارة الأوروبية الحديثة إلى سوء استخدام الإنسان الأوروبي للتطور المادي الذي حدث عنده في سيطرته على الغير، ونهب ثرواته واستعماره، وهذا في النهاية سوف يقودنا إلى الانهيار ويضيف شفايستر قائلا:" إن تقدم الحضارة المادي أكبر بكثير من تقدمها الروحي، لقد اختل توازنها، فالاكتشافات التي جعلت قوى الطبيعة تحت تصرفنا على نحو لم يسبق له مثيل قد أحدثت ثورة في العلاقات بين الأفراد بعضهم البعض، وبين الجماعات، وكذلك بين الدول، وأثرت معارفنا، وازدادت بها قوتنا...ولكن حماستنا للتقدم في المعرفة وأسباب القوة التي بلغناها جعلتنا نتصور الحضارة تصوراً ناقصاً معيباً وعليه فإننا نغالي في تقدير إنجازاتها المادية، ولا نقدر أهمية العنصر الروحي في الحياة حق قدره...إن الحضارة التي لا تنمو فيها إلا النواحي المادية، دون أن يواكب ذلك نمو متكافئ في ميدان الروح هي أشبه ما يكون بسفينة اختلت قيادتها، ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة التي ستقضي عليها، ذلك أن الطابع الجوهري للحضارة لا يتحدد بإنجازاتها المادية، بل باحتفاظ الأفراد بالمثل العليا لكمال الإنسان، وتحسين الأحوال الاجتماعية."[4] ومن الحق القول إن سيطرة المادة والحياة الصناعية في الغرب خلفت كثيراً من المآسي الاحتكارية والاستعمارية على الكثير من الشعوب، وهذا بسبب عدم اهتمام الإنسان الأوروبي في الحضارة الحديثة بقوانين الأخلاق والمبادئ الروحية، ما سبب التنافس غير الشريف ، والأحقاد بين الغرب وغيره من الدول. هذا التنافس ما هو إلا أثر من آثار الأنانية والبعد عن القيم الإنسانية، و الذي ظهر حينما استغل الغرب تطوره في صناعة السلاح، واستغل هذا التطور في مجال التسلح

[1] المصدر السابق،ص111-112
[2] المصدر السابق،ص13
[3] المصدر السابق،ص70
[4] المصدر السابق،ص107

للإسراع بنموه الاقتصادي والمالي على حساب الدول الضعيفة التي تمتلك الكثير من المواد الخام، ولم تصل بعد إلى التطور التقني والعلمي، ونؤكد مرة أخرى على أننا لسنا ضد الإبداع المادي فهو ضروري لنمو الحياة ورقيها، ولكن بشرط ألا يضر ويناقض خصائص الإنسان، أو يقضي عليها ويدمرها، وهذا ما تعانيه تلك الحضارة، هذه المعاناة ناتجة عن سلوك الإنسان الأوروبي الذي وجه كل طاقاته نحو السيطرة والهيمنة واحتقار الغير، وذلك حينما ابتعد عن الجزء الخير فيه، وترك القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية ، التي لا يستطيع الإنسان الأصيل أن يستغني عنها، وحل محلها - بحجة العلمانية - أهواؤه ورغباته في السيطرة والتملك على الشعوب الضعيفة، وهذا ما يرفضه **شفايتسر** في حضارة بني وطنه، ومن ثم يراها حضارة منهارة من حيث القيم، رغم تطورها المادي، يقول **شفايتسر :** " إن الاختراعات التي وضعت في أيدينا قوة تدميرية هائلة هي التي جعلت الحرب ذات طابع مدمر جعل الغالب والمغلوب على السواء محطمين...ثم إن الإنجازات التكنيكية هي التي وضعتنا في موقف يسمح لنا بالقتل من مسافة بعيدة، والقضاء على أعداد ضخمة من الناس، حتى أننا نزلنا إلى الدرك الأسفل من الإنسانية، فالإنجازات المادية إذن ليست حضارة، ولكنها لا تصبح حضارة إلا بمقدار ما تستطيع عقلية الشعوب المتمدنة أن توجهها وجهة كمال الفرد والجماعة."[1] **فشفايتسر** حين يحلل ما حدث للدول الضعيفة من قبل الغرب، يؤكد وجهة نظره الأخلاقية وضرورتها في قيام الحضارة، فهو يؤكد في أكثر من موضع من كتابه على ضرورة العلم والتقدم، بشرط أن يكون بجانبهما تمسك بالقيم الإنسانية واحترام الإنسان، وعدم استغلال الشعوب الضعيفة أو السيطرة عليها من قبل من يملك هذا العلم. وهنا أرى أن **شفايتسر** يريد أن يؤكد على أن التطور المعنوي المتمثل في القيم الأخلاقية والدينية وسلوك الإنسان مقدم على التطور المادي، فحينما يكون سلوك الإنسان ذا قيمة أخلاقية، فإنه سوف يشعر بالأمان والاطمئنان، وينجو من الشعور بالقلق، وهنا سيقوم المجتمع على التفاهم والتعاون والمحبة، بدلاً من قيامه على السيطرة والقهر والأنانية وتنفيذ القانون المشوه عن طريق قوة غاشمة.

مما سبق يتضح لنا تأكيد **شفايتسر** على أهمية القيم الإنسانية في قيام الحضارة، وذلك من خلال التريث والحكمة من قبل المسؤولين والقادة في أخذ القرار ، فالتحضر يكون من خلال كيفية استخدام العلم والتطور المادي لصالح الإنسانية،" فالعلماء لم يبذلوا الجهود الجبارة والحثيثة إلا لغاية إنسانية... ولم يبذلونها أبداً كي يضعوا اكتشافهم العجيب في خدمة الشر، ولم يبذلونها أبداً لكي يصنع من الذرة قنبلة تدمير لإبادة البشر بالآلاف، ومئات الآلاف والملايين و إنما بذلوها كي يتهيأ للإنسان حياة سعيدة تليق بأعلى كائن بين الكائنات الحية بذلوها كي يكون هذا البذل عوناً للإنسان في حياته،

[1] المصدر السابق،ص110

لا عاملاً على هدم حياته."[1]. ولكن حينما وجهت ضد الإنسان والبشرية، واستخدمت بطريقة همجية، ثار العلماء على ذلك. فمثلاً نجد(**أينشتاين1879-1955Einstein**) "يصرح بندمه على الإسهام في اكتشاف الطاقة الذرية، إذ وجد أن هذا الاكتشاف يستثمر للشر، عوضاً عن الخير. كان العلماء يأملون أن يستعمل إشعاع الطاقة الذرية لبلوغ ما لم يبلغه إشعاع **(إكس)** والراديوم مثلاً، بل كانوا يأملون أن تستعمل الطاقة الذرية في المشاريع الصناعية والعلمية والطبيعية، كانوا يأملون أن تنفتح أمام الإنسانية آفاق جديدة من النور، وتبعث الرجاء في التوصل إلى مكافحة آفات الإنسانية، فيقضى على الفقر والعوز والأمراض المستعصية، والأوبئة التي تفتك بالبشر."[2] فمجهود العلماء تجاه أبحاثهم وعلمهم ما هو إلا لتحقيق صالح البشرية، يبذلون الجهود، وقد توافيهم المنية أثناء جهودهم، وهم يبحثون ويخترعون، كل ذلك بدافع إنسانيتهم وإنسانية العلم للرقي بمجتمعاتهم وإسعاد البشرية، والنهوض بالحضارة. إلا أن قوى الشر المتمثلة في أطماع من في يده القرار تتجه إلى العلم والمكتشفات العلمية لدى العلماء، فتحصل عليها بكافة الوسائل، سواء بالقوة أو بالتحايل والنفاق، فتنتزع منهم حصيلة خبرتهم العلمية، وتخضعها لرغباتهم وشهواتهم المدمرة، حيث يدمرون بها معالم الإنسانية، وإن كان هذا الأمر جزئياً، أي لا ينطبق على كل المجتمعات؛ حيث نجد بعض المجتمعات تنظر إلى العلم وانتصاره بنوع من الأمل في خدمة الإنسانية.

إذن الخطأ ليس في العلم ولا العلماء، ولكن فيمن يوجه هذا العلم لإخضاع وقهر شعوب الإنسانية وهنا يتمثل في تقديري أكبر انهيار للحضارة رغم التطور المادي والعلمي، هذا الانهيار هو انهيار لقيم الإنسانية، حينما لا ينظر الإنسان إلا إلى تحقيق أطماعه ومصلحته فقط دون الاكتراث بالبشرية، فالتاريخ لن ينسى مأساة (هيروشيما وناجازاكي)* وما أصاب سكان هاتين المدينتين من إبادة سكانهما، رجالاً و نساءً وأطفالاً وشيوخاً دون تمييز أو تفريق، فمن بقي من تلك المأساة بقي مشوهاً جسدياً ونفسياً، وذلك نتيجة ما أصابهم من هلع القنبلة الذرية التي رموا بها. وبذلك استخدم الإنسان

[1] جورج حنا: قصة االانسان،ط3،دار العلم للملاين،بيروت،1959،ص320.

[2] المرجع السابق، ص ص320-321

* إن مأساة "هيروشيما" "وناجازاكى" ما هي إلا نتيجة لسوء استخدام الإنسان للعلم، وفقدانه للقيم الأخلاقية، ففي صباح 6 أغسطس سنة 1945م أغارت ثلاث طائرات أمريكية على مدينة "هيروشيما" البالغ تعداد سكانها 300 ألف نسمة، وألقت عليها أول قنبلة ذرية، وفى صباح 9 أغسطس 1945 أغارت الطائرات الأمريكية على مدينة "ناجازاكى" البالغ عدد سكانها 270 ألف نسمة وألقت القنبلة الذرية الثانية، لقد قامت أمريكا بهذا العمل المشين، لسبب يتنافى مع الإنسانية وهو تجريب أمريكا للآلات والمخترعات الذرية والتي جربتها على رؤوس البشر في مدينة "هيروشيما" "وناجازاكي" مما ترتب عليها الكثير من الدمار والخراب وسفك الدماء، يتضح هذا الدمار في أن من هلكوا في اليوم السادس من أغسطس سنة 1945 من اليابانيين يتراوح عددهم بين مائتي ألف وأربعين ألفاً. وأن الذين هلكوا من القنبلة الثانية على ناجازاكي 36 ألف، والذين جرحوا بلغوا 40 ألفاً، هذا الجحيم والدمار وسفك الدماء الذي أنصب على تلك المدينتين قد فاق كل وحشية وحيوانية فأثر تلك الجريمة موجود إلى الآن والدليل على ذلك عدم شعور أمريكا بتأنيب الضمير، بل أن تفوقها العلمي جعلها تخترع قنابل أخرى أشد هولاً في القوة والتدمير من القنبلة الذرية، مثل القنابل الهيدروجينية، والنيترونية، والعنقودية، والفراغية، وغير ذلك من القنابل التي تتقدم كل يوم، وتحقق دماراً يفوق كل احتمال وتوقع وخيال. انظر توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص 776.

العلم ضد أخيه الإنسان؛ رغبة في تحقيق الأطماع، والسيطرة على العالم لتحقيق غايته الشريرة، فالخطأ والذنب لا يلقى على العلم، بل على مستخدمي العلم ممن هم فاقدي القيم الإنسانية .

لذا نجد **شفايتسر** يقرر أن الحضارة لا تقوم إلا من خلال التزام الإنسان بالقيم الأخلاقية، لكي يوجه هذا التقدم الوجهة الصحيحة، لكن الذي حدث من الغرب أو بالأحرى الحضارة الغربية الحديثة، هو زيادة في التسلح وإرهاب الضعفاء من أجل حماية تجارتها ونشرها، لذا نجدها قد استخدمت " القوة ضد العزل، على نحو شائن دنيء، لا معنى له."[1] فحينما تنهار القيم الأخلاقية في الإنسان تنهار حضارته، رغم تطورها المادي، وذلك لأن الإنسان الأوروبي بدأ ينظر إلى غيره من الشعوب على أنها مجرد خامات وممتلكات * في شكل إنسان،" ومنذ عشرات السنين ونحن نتحدث عن الحرب والغزو، وكأن هذين ليسا إلا ألاعيب على رقعة شطرنج، كيف أمكن أن يقع هذا لو لم يكن نتيجة اتجاه عقلي إذ لم يعد يرسم لنفسه مصير الأفراد، بل صار يفكر فيهم باعتبارهم مجرد أشكال أو موضوعات تنسب إلى العالم المادي؟ ولما نشبت الحرب انطلق عدم الإنسانية فينا من عقاله، وكم من إهانات بعضها مقنَّع بأدب، والبعض الآخر مكشوف انصبت على الشعوب الملونة في العشرات السنين الأخيرة."[2] إذن فالربع الأخير من القرن التاسع عشر فترة استعمارية جامحة، فقد سعت جميع الدول الكبرى وراء فتوحات جديدة؛ بغية توسيع ممتلكاتها في القارات الأخرى، فقد "بلغت أوروبا الغاية في الفن والصناعة، ولكنها ارتدت عن المثل الأخلاقية، فلم تعد تعرف شيئاً من الخير للإنسانية فيما وراء حدود عالمها الذي لا يمكن فهمه إلا بلغة المادة."[3] مما سبق نستنتج أن ألبرت **شفايتسر** حدد مضامين ضرورية للدخول في مجال الحضارة، وأكد على ضرورة وجود أربعة مثل عليا كي تتألف منها الحضارة، فمضامين الحضارة هي:

"- التقدم في المعرفة- التقدم في التنظيم الاجتماعي للإنسانية- التقدم في الروحية.

---

[1] ألبرت شفايتسر: فلسفة الحضارة،ص82

* على سبيل المثال نجد في العصر الحالي الكثير من الحروب تقام بحجة تحقيق الديمقراطية، وما هي في الحقيقة إلا تحقيق مصالح ونهب ثروات وخامات وممتلكات الدول التي ترفض الخنوع ، فالغرب وأمريكا لا ينظر إلا إلى تحقيق مصالحه، فحينما ننظر إلى الممارسات الأمريكية والغربية في العالم يتضح لنا الفجوة بين المبادئ التي تنادى بها أمريكا والغرب وبين الممارسات، حيث نجد ازدواجية في المعايير فهم إن نادوا بالديمقراطية فقد تغاضوا عنها حينما كان "صدام حسين" (صديقاً مقرباً إليهم يعاملونه باحترام بالغ ويشيدون بفضله ويغرقونه بالمعونات والأسلحة) وذلك حينما كانت لديهم مصلحة معه في حربه مع إيران، تحول فجأة إلى عدو لدود لهم يصفونه بالوحشية ويمطرونه بالقنابل وبأحدث أنواع الأسلحة الفتاكة بحجة إنقاذ العراقيين من حكم دكتاتوري، أي إنقاذ هذا وهم يقتلون كل يوم مئات العراقيين، ويدمرون اقتصاد العراق، كل هذا يتم لغرض واحد هو تحقيق مصلحة الغرب وأمريكا في تدمير أي قوة في الشرق قادرة على النهوض والتطور خاصة في مجال السلاح، فإن كان هدفهم القضاء على "صدام حسين" فقد تم لهم ذلك فما المبرر من وجودهم في العراق إلى الآن؟! انظر جلال أمين، خرافة التقدم والتخلف ص 128.

[2] البرت شفايتسر : فلسفة الحضارة ، ص 27

3 مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين،ط1،مطبعة المدني،القاهرة،1959،ص180

أما المثل العليا التي تتألف منها الحضارة فهي:

-المثل العليا للفرد- المثل العليا للتنظيم السياسي والاجتماعي- المثل العليا للتنظيم الاجتماعي والروحي والديني-المثل العليا للإنسانية بوصفها كلاً متكاملاً."[1]

فمن هذه المضامين، والمثل التي تلتزم بها المجتمعات يحدث تفاهم بين الفكر، والتقدم، ومنها نستطيع وضع مفهوم لدوافع الحضارة" وهي بذل المجهود، بوصفنا كائنات إنسانية، من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم، من أي نوع كان في أحوال الإنسانية، وأحوال العالم الواقعي، وهذا الموقف العقلي يتضمن استعدادا مزدوجاً فيجب أولا أن نكون متأهبين للعمل ايجابياً في العالم والحياة، ويجب ثانياً أن نكون أخلاقيين.[2] فالحضارة التامة هي عبارة عن تحقيق كل تقدم ممكن في الكشف والاختراع، وفي تنظيمات المجتمع الإنساني...وتعمل كلها من أجل التكميل الروحي للإفراد، وهذا هو الهدف النهائي والحقيقي للحضارة."[3] نصل مما سبق لآراء **شفايتسر** بأننا نكون متحضرين إذا كنا إنسانيين، وهذا الالتزام بإنسانيتنا هو الذي يحفظنا من الذهاب بعيداً عن طريق الحضارة.

[1] ألبرت شفايتسر: فلسفة الحضارة،ص406
[2] المصدر السابق،ص5
[3] المصدر السابق ،ص404

الخاتمة

إن ما قدمته الحضارة الغربية الحديثة، والمعاصرة في مجالات العلم، والاكتشافات، والابتكارات لا يستطيع أحد أن ينكره، ويجب أن نقر بضرورة العلم، والتكنولوجيا، وأهميتهما في ازدهار الحضارة المعاصرة، إلا أن هذه الحضارة بتفوقها العلمي والتكنولوجي قدمت نفسها للعالم على أنها الحكم الفصل في كل القضايا، وأنها مسؤوله مسؤولية تامة عن كل ما يحدث في العالم، وهذا ما زاد من استعلاءها ،وطغيانها، وجعلها بالرغم من تفوقها حضارة ناقصة، ضعيفة في الجانب الإنساني، و الأخلاقي .

ففي هذه الحضارة خلل كبير، فهذا التقدم العلمي الكبير لم يواكبه تقدم في القيم الروحية والأخلاقية فإن كان بهذه الحضارة أخلاق فهي أخلاق نفعية لا تخدم إلا مصلحتها فقط ، فمثلاً الديمقراطية الغربية، وحقوق الإنسان تطبق في بلادها، وعلى الغرب، ولكن يظهر الوجه القبيح للغرب حينما يستعمر بلداً آخر، لا مجال لتطبيق الديمقراطية ولا حقوقاً للإنسان فيه، والدليل على ذلك أمريكا التي تعتبر مثالا كبيراً على امتلاك الحضارة المعاصرة، نجدها حريصة على تطبيق الأخلاق، وقوانين حقوق الإنسان مع مواطنيها داخل أمريكا، وعكس ذلك تستخدمه مع غيرها من الدول الأخرى، فهي لا تلتزم بالقيم ولا السلوك الإنساني، ولا بالعهود والمواثيق مع الدول التي تشن عليها حروبها، فمثلاً ما تقوم به من تعذيب للسجناء في **جوانتنامو** في **كوبا**، و سجن **أبو غريب** في **العراق**، وما حدث فيه من إذلال لآدمية البشر دليل على عدم إنسانيتها، فأي ديمقراطية، وعدالة تلك التي يتحدث عنها الغرب ،حينما يقول رئيس أمريكا الأسبق **جورج بوش الابن:"** من ليس معنا فهو ضدنا**"** إن كانت هذه هي ديمقراطيتهم فهي لا تلحق بهم إلا ازدياداً في الطغيان والظلم، والتعالي على الشعوب الضعيفة .

أين شرائع حقوق الإنسان؟ . في تقديري هذه الشرائع سنها الغرب لحماية جنوده في الدول التي تغزوها خارج أراضيهم خصوصاً في دول العالم الثالث كما يسميها الغرب يرى البعض أن الغرب متحضر، و أسمى سمات التحضر أنه يمارس العدل، نعم إن الغرب يمارس العدل ولكن داخل بلاده أما خارجها فلا ! والدليل على ذلك احتلاله المتكرر للكثير من الدول العربية والإسلامية، وغير الإسلامية، سواء أكان احتلالاً عسكرياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً ! أين العدل والإنسانية في هذه الحضارة؟،وهناك الكثير من الدول النامية فرض عليها، الحصار، والتجويع أي عدل تتصف به هذه الحضارة، وهي ترمي القمح في البحار والمحيطات للمحافظة على أسعاره بدلاً من أن يعطى للجياع لسد جوعهم أنها" تساوم الجياع على دينهم، وتاريخهم، وثقافتهم،

وأعراضهم، وقوانينهم، مقابل لقمة الخبز للجوعى، وحبة الدواء للمرضى، لتضمن استمرار سلاسل العبودية، وقيد التبعية لها لعقود قادمة."[1]. أين العدل والإنسانية لهذه الحضارة ،وهي تمارس أبشع أنواع الرذائل، وهو التحرش الجنسي المتكرر لأطفال الدول الفقيرة، والمحتاجة إلى كل رعاية وحماية، إن نظرة سريعة على تقارير المنظمة البريطانية (أنقذوا الأطفال) : والتي تصف في تقريرها ممارسات جنود الأمم المتحدة القبيحة في جنوب السودان ،وساحل العاج، والكونغو، وهايتي ضد الأطفال، حيث يستغلون الأطفال جنسياً في مقابل الطعام والمال! ومنهم من هو أقل من السادسة من عمرة ! أن هذا التقرير، وغيره يكشف مدى لا إنسانية هذه الحضارة التي اهتمت بالجسد ،وأهملت الروح :[2] أين إنسانية هذه الحضارة، وفي كل يوم تفاجئنا وسائل الأعلام بتقارير، و مشاهد حية على سحق الإنسان، وقتل إنسانيته في مجازر البوسنة والهرسك، والتي أوضحت التقارير، والأرقام التالية " ستون ألف (امرأة مغتصبة)، ثلاثمائة ألف مسلم (قتلوا)، وثلاثة ملايين طفل وشيخ وأم (شردوا)"[3] ، فمن كل هذه الآثام استطيع أن أقول أنها حضارة لا إنسانية، رغم ادعائها بأنها رائدة الديمقراطية، والإنسانية أي إنسانية، وهي لا تعرف إلا القتل والاستغلال، وهنا يستحضرني قول الشيخ محمد الغزالي:" احسب تاريخ العالم لا يعرف في سجله الطويل أسوأ من مدنية الغرب في معاملة الآخرين، وتجاهل مصالحهم، ومصادرة حقوقهم ، بل انه لا يعرف أسوأ من هذه المدنية في إراقة الدماء بغزارة ، والتهام الحريات بنهم وتجسيم الأثرة الباغية تجسيما يحجب ما ورائه من خير وعدل ، لا ، بل أن هذه المدنية تتميز ببراعتها الفائقة في فرض إثمها على انه شرف ، وإبراز شهواتها وكأنها قوانين نزيهة فالخير ما عاد عليها وحدها بالنفع وان كسرت قلوب الآخرين والعدل ما سوغ حيفها وان شاه وجه الحق واستخفت معالمه تحت ركام من أقذار."[4]

إذا من كل هذه المآسي نستطيع أن نقول إن الإنسان في الحضارة المعاصرة يعاني من القلق، لأنها لا تنظر للإنسانية نظرة قيمية، بقدر ما تنظر إلى تحقيق مطامعها، ومصالحها، حيث تمسكت قوى الشر بمبتكرات هذه العلوم، وصبت على الشعوب المستضعفة مرارة شرورها، وبالتالي تخلى العلم عن رسالته، وهدفه، وهو إسعاد البشرية، وتخليصها من آلامها، فأصبح كابوساً يحلم به الضعفاء خوفاً من أن يقضي عليهم، كما قضى على مدناً، وحضارات، وقتل أبرياء كُثر عن طريق تجريب أسلحتهم النووية، والجرثومية، وأشباهها، وخير مثال يلحق العار بقادة الغرب ما حدث لمدينتي

[1] عمار توفيق احمد بدوي: مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن، ب ط، جامعة النجاح،نابلس،فلسطين،2005،ص186.
[2] جاسمين ويتبريد: منظمة سيف ذي تشيلدرن البريطانية،20-6-2008.
[3] مصطفى محمود: الغد المشتعل،ط3،كتاب اليوم دار أخبار اليوم،القاهرة،1995،ص60.
[4] محمد الغزالي: الاستعمار أحقاد وأطماع،ط4،دار نهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة،2005،ص68.

هيروشيما، وناجازاكي، وكيف أبادوا "مدينة كاملة من الوجود، ودمروا كل شيء حي، ومن تبقى على قيد الحياة مازالت آثار الجريمة شاهدة على جسده، وورثها كل من تناسل من نسله."[1] لن ينسى العالم هذه الكارثة الدموية التي اقترفتها زعيمة الحضارة المعاصرة أمريكا، والتي لم " تلقى إلا الترحيب، والمباركة، من قادة تلك الحضارة، فقد أروت عطشهم للدم، والدمار، والإرهاب، والحقد، والكراهية."[2] مما خلف في العالم حروب لا آخر لها، كان باعثها الحقد والطمع. نظر ًالافتقار حضارة العصر لمقومات روحية، وأخلاقية، فكانت حضارة كثيرة الانجازات وكثيرة الكوارث، فمن كوارثها استعمارها للدول الضعيفة المتخلفة عن ركب التحضر، "وحينما استطاعت الدول الضعيفة أن تزيح عنها المستعمر، وتتخلص من شرورهم، ابتكر هؤلاء نوعاً جديدا من الاستعمار، إذا دخلوا البلاد بحجة العمل على خدمتها وإزاحة تخلفها، ومساعدتها على التحضر، والرقي."[3] ولكن في حقيقة الأمر هي لا تنظر إلا إلى تحقيق مصالحها وأطماعها، وتدخل مدعمة نفسها بالمواثيق والعهود والاتفاقيات، مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، تلك التي لم تستطع أن تحقق للإنسان حريته، وتمنحه حقوقه، فمازالت الأخطار تلحق به من جميع الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، حتى بقاء الإنسان أصبح مشكلة تحاط بالمخاطر، التي تضيق الخناق عليه ، وتهدد وجوده، مما جعلته تائهاً قلقاً، من ازدياد التطور التكنولوجي، والنشاط العقلي الذي افرز المعرفة المتفوقة عند الإنسان فهذا التطور لم يجعل الإنسان يشعر بالسلم والأمان، بل بالعكس أصبح ينتظر فنائه في أي لحظة، وذلك لان التكنولوجيا أصبحت في يد صناع القرار الذين لا هم لهم سوى المصالح الاقتصادية التي تخلو من الجوانب الإنسانية، وبالتالي إنسان هذا العصر يعيش في قلق وخوف من التهديدات، والحروب التي ممكن أن تقام في أي لحظة.

[1] رمضان لاوند: الحرب العالمية الثانية، ب ط ،دار العلم للملاين، بيروت، ب ت،ص446

[2] ريتشارد نيكسون: نصر بلا حرب، ترجمة المشير محمد أبو غزالة،ط1،وركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة،1988،ص241

[3] توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، ب ط، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ب ت،ص76

النتائج

-على الرغم من اتصال الحضارات منذ القدم، وتبادل المعارف والعلوم والفنون، إلا أن وعي الإنسان بعالمية العالم لم يتبلور إلا في العصر المعاصر الذي تخلى فيه الإنسان عن محليته وتقليديته، حيث عملت التطورات العلمية، والمعرفية على ازدياد الوعي بعالمية العالم ووحدته، ففي هذا العصر الذي تم فيه التقارب بين الشعوب والمجتمعات حتى أن المصالح والهموم الكونية أصبحت مشتركة، انعكست تلك المشاكل والهموم على الإنسان خصوصاً مشكلة البقاء، والفناء" فإما أن تغرق البشرية سوياً في بحر صراعاتها وتناقضاتها المزمنة وإما أن تجد مخرجاً موحداً لتفادي حدوث كارثة بالجنس البشري، والحضارة الإنسانية."[1] كي يحافظ على بقائه وبقاء حضارته.

- الحضارة المعاصرة في تقديري لا إنسانية، لأنها لا توظف علومها وتقنيتها إلا لخدمة مصالحها ،واستمرار هيمنتها، ولم تستخدمها في وضع حلول حاسمة للقضاء على حالات الموت البطء لكل من يعيش حياة الأمية المزمنة، وحالة الضعف الجسدي نتيجة للفقر والمجاعات، و بالتالي لم يكن لديه القدرة على العمل والإنتاج والعطاء، هذه الحضارة لا إنسانية بسبب وجود فجوة بين الغنى، و الفقر، في الكثير من بلدان العالم، لا إنسانية لازدواجية المعاير في تطبيق الديمقراطية، والعدالة، والقوانين الحقوقية للإنسان، فأن كان للحضارة وجه مشرق' فوجهها المضيء،هو إنسانيتها، والإنسانية هي سبب ديمومة واستمرار الحضارة.

- إن تقدم الحضارة الغربية اليوم أصبح شغل الشاغل للكثير من بني الإنسان، وذلك بسبب أتساع نفوذها، وتمكنها من بسطه على العالم مستخدمة في ذلك كل أساليب الترهيب، والترغيب، حيث شنت الكثير من الحروب المدمرة، إلى جانب استخدام أسلوب الترغيب لكثير من الشعوب، بشعاراتها البراقة . هذه الحضارة لا يختلف اثنان على أنها ملكت زمام أمور القوة الحربية، والجوية، التي من خلالها تمد ذراعيها للضرب، والسيطرة على الشرق، و الغرب، والجنوب، والشمال، مستنده في ذلك على ما قطعته من تقدم فائق في ميادين العلم المادي والتسلح والمخترعات .أنها بلغت أقصى قوتها .وتعتبر أمريكا زعيمة الحضارة المعاصرة، وصاحبة النفوذ المطلق في سياسات الدول وقضايا العالم .

[1] عبد الخالق عبدا لله: العالم المعاصر والصراعات الدولية، ب ط، عالم المعرفة،الكويت،1989م،ص6.

- أن كل العلوم السياسية، و الاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية في الحضارة المعاصرة ليست خاضعة لقانون الأخلاق، في حين إننا اليوم في أمس الحاجة إلي الإنصات لصوت الضمير، والاهتمام بالعلوم الأخلاقية والنفسية والاجتماعية أكثر من علوم المادة لأنها هي التي سوف توجهنا إلى الطريق السليم المؤدي إلى الأمن والسلام.

- أن حضارة هذا العصر تعاني أزمة بل أزمات، فهي حضارة طغت الثورة العلمية فيها على الرسالات السماوية، والمفاهيم الدينية، والقيم الخلقية، والحقائق الغيبية، وكل ما يتصل بما وراء المادة و الطبيعة، وتولدت في عصرها مشكلات وأزمات ملأت كل فراغ في تفكير و حياة الإنسان، فهو عصر سمته الاضطراب والقلق .

- لقد تمكنت الحضارة الغربية المعاصرة من تطوير سيطرة العقل البشري على الطبيعة إلى حد بعيد، ولكن لا نوافق على الرأي القائل بأن ما نعانيه من أزمة حضارية راهنة نابع من هذه القضية وحدها- سيطرة العقل على الطبيعة – بل حتى لو افترضنا أن التكنيك العقلي المذكور قد كشف عن آثاره الضارة بالجسد والنفس والروح، فإننا لا نكون-على الرغم من ذلك- قد أشرنا الى الموضع الذي يكمن فيه الداء الفعلي، إن الخطأ الأكبر في هذه الحضارة يرجع إلى أن الإنسان اهتم بالجانب العقلي، و استبعد الروحي.

المصادر والمراجع

أولا المصادر والمراجع العربية:

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (أنس)، ج1، ،دار الصياد، بيروت، ب ت.

2- توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ط1، دار الوفاء،المنصورة،1988 .

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1،الشركة العالمية للكتاب،بيروت،1994.

4- جورج حنا: قصة الإنسان، ط3، دار العلم، بيروت، 1959.

5- حسين مؤنس: الحضارة، ب ط، عالم المعرفة،الكويت،1978م .

6- عبد الخالق عبدا لله: العالم المعاصر والصراعات الدولية، ب ط، عالم المعرفة، الكويت،1 . 1989 .

7 -عمار توفيق احمد بدوي: مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن، ب ط، جامعة النجاح،نابلس،فلسطين،2005 .

8- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين،ط1، مطبعةالمدني،القاهرة،1959 .

9- محمد أركون، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، ترجمة هاشم صالح، ب ط،،دار الساقي،بيروت،2001م.

10- محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ترجمة هاشم صالح، ب ط، دار الساقي، بيروت، 1977 .

11- محمد الغزالي: الاستعمار أحقاد وأطماع،ط4،دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2005.

12- مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا، ط5،المكتب الإسلامي، بيروت،1987م.

13 - مصطفى محمود: الغد المشتعل، ط3، كتاب اليوم دار أخبار اليوم،القاهرة،1995 .

ثانياً المصادر المترجمة للعربية:

1-ألبـــرت شفايتســـر: فـــي فلســـفة الحضـــارة، ترجمة:عبـــد الـــرحمن بـــدوي، ب ط، القاهرة، مطبعة مصر، ب ت .

2-ألكســيس كاريــل، الإنســان ذلــك المجهــول، تعريــب شــفيق أســعد فريــد،ط3،القــاهرة: مكتبة المعارف،1980م .

3 - أندريــه كريســون: تيــارات الفكــر الفلســفي مــن القــرون الوســطى حتــى العصــر الحــديث، ترجمة نهاد رضا،ط2، منشورات عويدات ،بيروت،1982م .

4- جاسمين ويتبريد: منظمة سيف ذي تشيلدرن البريطانية،20-6-2008.

5- جــورج ســارتون: تــاريخ العلــم ،ترجمــة إســماعيل مظهــر، ب ط، الناشــر دار النهضــة العربية،القاهرة،1961.

6-جوســتاف لوبــون: مقدمــة الحضــارات الأولــي، ترجمــة: محمــد صــادق رســتم، ب ط المطبعــة السلفية،القاهرة،1341ه.

7- جون هرمان راندل: تكوين العقل الحديث،ج1،ط2، دار الثقافة،بيروت،1965م.

8 - جوزيف كاميللري: أزمة الحضارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،1983.

9- روم لاندو :تكوين الإنسانية، ترجمة منير البعلبكي،ط2،دار العلم للملايين،بيروت،1977م.

10- زيغريــد هونكه:شــمس العــرب تســطع علــى الغــرب، ترجمــة: فــاروق بيضــون، ط8، دار الجبل،بيروت،1993.

11- سيجموند فرويد :قلق في الحضارة، ترجمة: جورج طرابيش،ط3، دار الطليعة للطباعة النشر،بيروت،1982م.

12- كويلر يونغ: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، ترجمة عبد الرحمن محمد أيوب، ب ط سلسلة الألف كتاب، القاهرة، ب ت.